مجلة علوم اللغة العربية (فصلية علمية)

تاريخ الاستلام: ١٤٠٢/٧/١٢ تاريخ القبول: ١٤٠٢/١٠/٨

أسرار الرؤيا وآثارها في القرآن الكريم– دراسة لاهوتية

كنانة فائز مصطفى[١]*، ريم عبد الفتاح جورية[٢]

١. أستاذة الفلسفة والدراسات القرآنية في جامعة المصطفى العالمية، إيران (الكاتب المسؤول)؛
kinanamustafa@gmail.com
٣. طالبة ماجستر علوم قرآن في جامعة المصطفى العالمية، إيران

الملخص

لطالما كان القرآن الكريم منبعاً فياضاً للحكمة والمعارف الإلهية التي لاتنضب، والتي التقطها الفلاسفة والعرفاء المسلمين وبينوها من خلال البحث والتحليل. من بين المواضيع القرآنية المهمة التي عالجها العرفاء المسلمون وعلى رأسهم ابن عربي الرؤيا الصادقة، حيث أفرد لها الحق تعالى قسماً مهماً من كتابه العزيز أهمّه سورة سيدنا يوسف عليه السلام، والتي تصدرت القرآن الكريم بموضوع الرؤيا الصادقة وتعبيرها. تحتل الرؤيا مكانة هامة في القرآن والسنة والفلسفة والعرفان ولكونها موجودة في صنف البشر على الاطلاق. تعتبر الرؤيا جزءاً من أجزاء النبوة، فالرؤيا الصادقة مبدأ الوحي وما هي بأضغات أحلام ولا تكون إلا في حال النوم حيث كان الانبياء يوحَى إليهم في منامهم، كما يوحى إليهم في اليقظة، وعليه معرفة أسرار الرؤيا وآثارها إنما يفتح باباً معرفياً مهماً باتجاه العوالم الغيبية وعوالم النفس الإنسانية. سعينا في هذا التحقيق وباتباع المنهج التحليلي الوصفي لآيات الرؤيا في القرآن الكريم وعن طريق تحليل الرؤيا من الناحية العرفانية، معرفة منشئها الذي يمتلك بعدين أحدهما وجودي والآخر معرفي وكذلك تبيين آثارها في حياة الإنسان. بناء على هذه الدراسة، توصلنا إلى أن منشأ الرؤيا في القرآن الكريم عرفانياً يرتبط بعالم الخيال المنفصل المطلق من جهة وعالم الخيال المتصل المقيد من جهة أخرى، مع اقتران هذه المسالة بمقام الإنسان وما يدركه من حضرة الخيال المنفصل، تلك الحضرة المستقلة التي تتجسد فيها المعاني والأرواح على هيئة صور. بالإضافة إلى كشف أهمية الرؤيا الصادقة من حيث التنبؤ بالأحداث المستقبلية من جهة ومقام ومكانة معبر الرؤيا من جهة أخرى.

المفردات المفتاحية: الرؤيا، منشأ الرؤيا، آثار الرؤيا، القرآن الكريم، العرفان الإسلامي.

المقدمة

وردت لفظة الرؤيا في القرآن الكريم (١٤) مرة بمشتقاتها المختلفة، منها قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيا تَعْبُرُونَ) (يوسف:٤٣)

الرؤيا لغة: مشتقة من فعل رأى والرؤيا الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ والحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالرُّؤْيَا والحُلْمُ عِبَارَةٌ عَمَّا يَرَاهُ النَّائِمُ فِي نَوْمِهِ مِنَ الأَشياء، وَلَكِنْ غَلَبت الرُّؤْيَا عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّيْءِ الْحَسَنِ، وَغَلَبَ الحُلْمُ عَلَى مَا يَرَاهُ مِنَ الشَّرِّ وَالْقَبِيحِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ: أَضْغاثُ أَحْلامٍ. (ابن منظور،١٤١٤هـ، ج١٤: ١٤٥) عَبَرَ الرُّؤْيا يعبرها عَبْراً وعِبارة، ويُعبِّرُها تعبيراً، إذا فسَّرَها، ومفسِّر الرُّؤيا يأخُذُ بها من وجهٍ إلى وجهٍ، كأن يُسأل عن الماء، فيقول:حياة. فهو في هذا قد عبر من شيء إلى شيء آخر. (ابن فارس،١٤٠٤هـ، ج٤: ٢٠٨) أما الرؤيا اصطلاحاً فلا نجد فرقاً بين المعنى اللغوى والاصطلاحي، فالرؤيا في الاصطلاح القرآني بحسب ماورد في معاجم مفردات القرآن بأنها مايرى في المنام (اصفهاني، ١٤١٢هـ: ٣٧٤؛ قرشي بنابي، ١٣٧١ش، ج٣:٣٧) أما في الاصطلاح العرفاني فقد أطلق ابن عربي اسم المبشرات على الرؤيا وهو ما اقتبسه من حديث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بأن المبشرات هي رؤيا المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة. (ابن عربي، لاتا، ج٢: ٣٧٦) الرؤيا من وجهة نظره تحدث في النوم في حضرة الخيال والنوم هو المعْبَر للإخبار عن الأمور المتعلقة في هذه الرؤيا. فالمعبّر يسمع في البداية من المخْبِر صاحب الرؤيا الذي يعبّر بما يتكلم به من حضرة نفسه إلى نفس السامع (المعبِّر)، فالمعْبَر الأول يكون من خيال المخبِر إلى خيال المفسِّر أو المعبِّر فهو ينقله من خيال إلى خيال، وهنا السامع يتخيله على قدر فهمه، فقد يتطابق خيال السامع مع خيال المتكلم وقد لا يتطابق، فإذا تطابق الخياليين سمي فهماً، وإن لم يطابقه كان لفظاً لا عبَّارة، لأن المتكلم هنا ما عبّر به عن محله إلى محل السامع (المفسر). يسمي تأويل الرؤيا عبَّارة، لأن المفسّر أو المعبِّر يعبر من الرؤيا إلى ما جاءت له، على غرار ما به عبر النبي صلّى اللّه عليه وآله من القيد إلى الثبات في الدين، ومن اللبن إلى العلم. (نفس المصدر، ج٣: ٤٥٣) تأتي الالفاظ المرتبطة بالرؤيا والتي ذكرت في القرآن الكريم على ثلاثة: أحلام (أضغاث أحلام)، الرؤية والوحي. بالنسبة للحلم لغة واصطلاحاً مايرى في النوم (ابن فارس،١٤٠٤هـ، ج٩٣: ٢؛ أصفهاني، ١٤١٢هـ: ٢٥٣). لكن ما جاء في الحديث النبوي الشريف بأن «الرؤيا من اللّه تعالى، والحلم من الشيطان» يدل على أن الشارع الحق سبحانه وتعالى ولتفريق وتمييز الحق عن الباطل جعل لفظ الرؤيا يدل على الخير لما فيها من الدلالة على مشاهدة الشيء بالبصر والبصيرة، وجعل كلمة الحلم تدل على ما كان من الشيطان

من الشر والقبيح. (آلوسي،١٤١٥هـ،ج٦: ٤٤١) أما أضغاث الأحلام فهي الأحلام المختلطة التي لا يتبيّن حقائقها. (اصفهاني، ١٤١٢هـ: ٥٠٩).

أما اَلرُّؤْيَةُ لغة رأي: الرُّؤْيَة بالعَيْن تَتَعدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَبِمَعْنَى العِلْم تتعدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ. الرُّؤْيَةُ النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب (ابن منظور،١٤١٤هـ،ج١٤: ٢٩١) أما اصطلاحاً بحسب ما جاء عن راغب أصفهاني فهي إدراك اَلْمَرْئِيِّ، فتكون بحسب قوى النّفس إما بالحاسّة وما يجري مجراها، مثل لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (التكاثر:٦-٧) أو بالوهم والتّخيّل، مثل قوله تعالى: (وَ لَوْ تَرى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) (الأنفال:٥٠) والثالث: بالتّفكّر: إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ (الأنفال:٤٨) والرابع: بالعقل، وعلى ذلك قوله: (ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى) (النجم:١١). (اصفهاني، ١٤١٢هـ: ٣٧٤)

في أنواع الرؤيا قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: "إِذَا كَانَ آخِرُ اَلزَّمَانِ لَمْ يَكَدْ رُؤْيَا اَلْمُؤْمِنِ يَكْذِبُ وَ أَصْدَقُهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثاً وَ اَلرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ رُؤْيَا بُشْرَى مِنَ اَللَّهِ وَ رُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ بِهِ اَلرَّجُلُ نَفْسَهُ وَ رُؤْيَا مِنْ تَخْزِينِ اَلشَّيْطَانِ" (مجلسي،١٤٠٣هـ، ج٥٨: ١٨١) والرؤيا التي تكون بشرى هي الرؤيا الصادقة والتي تشكل جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، حيث لم يبين القرآن الكريم من هذه الأنواع الثلاثة إلا هذا النوع الصادق، أما بالنسبة لأضغاث الأحلام فقد وردت بشكل عارض مرة على لسان حاشية ملك مصر "قَالُوٓا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ" (يوسف: ٤٤)، ومرة أخرى على لسان المشركين تارة أخرى "بَلْ قَالُوٓا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ" (الأنبياء: ٥) بالنسبة للرؤيا الصادقة وارتباطها بالوحي، فإن الرؤيا الصالحة هي أول ما بدأ به رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم من الوحي والتي لا تحتمل التعبير والتأويل، بل كان مايراه في رؤياه يتحقق كما هو في الواقع ونفس الأمر. وفق ما جاء عن ابن عربي، فإن الوحي هو إنزال المعاني المجردة العقلية في القوالب الحسية المقيدة في حضرة الخيال في نوم كان أو يقظة، فما كان في نوم يكون رؤيا في حضرة الخيال، كما أدرك رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم العلم في صورة اللبن. (ابن عربي، لاتا،ج٢: ٥٧)

أسرار الرؤيا وآثارها في القرآن الكريم

يقسم ابن عربي الرؤيا إلى ثلاثة أنواع: الأولى بشرى والثانية هي حديث النفس أي مما يحدث المرء به نفسه في اليقظة، فيبقى مرتسماً في خياله، فإذا نام أدرك ذلك بالحس المشترك ذلك أنه بالنوم تنصرف الحواس إلى خزانة الخيال فتدرك ما ارتسم فيه أثناء اليقظة. أما الرؤيا الثالثة فهي من الشيطان. (ابن عربي، لاتا،ج٢: ٣٧٦).

تكمن أهمية هذا البحث في أنه من خلال التحليل العرفاني للرؤيا، يُكشف منشأ الرؤيا وآثارها في القرآن الكريم، وهذا الأمر بحد ذاته جديد، فعلى الرغم من وجود مقالات وأبحاث ناقشت وعالجت مسالة الرؤيا، إلا أننا لم نعثر على مقال مستقل يعتمد التحليل العرفاني لآيات الرؤيا في القرآن الكريم ليبين المنشأ والآثار المتعلقة بها.

أسئلة البحث

– ما هو منشأ الرؤيا عرفانياً في القرآن الكريم.

– ما هي آثار الرؤيا في حياة الإنسان والتي بينها كتاب الله العزيز.

خلفية البحث

تعد وحدة الوجود من أهم النظريات العرفانية المبنية على الوحدة الاطلاقية، وبناء عليها فإن الوجود واحد، وهذا الوجود هو الوجود الحقيقي لله تعالى، وماسوى الله ليس إلا مظاهره وتجلياته. من خلال هذه المظاهر والتجليات يتم حل مسألة ربط الوحدة بالكثرة في العرفان. وفقاً لبعض العرفاء كقيصري، تنقسم المظاهر الإلهية إلى خمس حضرات وفق مراتب طولية كالتالي: الحضرة الأول؛ حضرة الغيب المطلق عالم الأعيان الثابتة. الحضرة الثانية، حضرة الغيب المضاف عالم الجبروت (العقول). الحضرة الثالثة، حضرة الغيب المضاف عالم الملكوت (المثال). الحضرة الرابعة، حضرة الشهادة عالم الملك. الحضرة الخامسة؛ الجامعة لكل الحضرات السابقة وعالمها عالم الإنسان الكامل. (قيصري، ١٣٧٥ش: ٩٠) وفقاً للعرفاء، فإن عالم المادة يتغير ويخضع لأحكامها، في حين أن عالم التجرد يكون مجرد عن المادة وآثارها، أما عالم المثال فهو عالم بين هذين العالمين، ليس مجرداً ولا مادياً، أي أنه مجرد من المادة دون آثارها (نفس المصدر: ٩٧) يؤمن العرفاء بمطابقة عالم المثال مع عالم المادة، بحيث أن كل ما هو موجود في عالم المثال يكون أيضاً في عالم المثال، لكن العكس ليس صحيحاً. في مكان آخر، يبين ابن عربي هذا التقسيم لمراتب الوجود بطريقة أخرى. من وجهة نظره، لدينا فقط حضرتان وعالمان أحدهما حضرة الغيب عالمها عالم الغيب والذي يُدرك بالبصيرة والحضرة الثانية هي حضرة الحس وعالمها عالم الشهادة ومدرِكُها البصر. من اجتماع هاتين الحضرتين والعالمين يتولد حضرة وعالم الخيال، وهو ظهور المعاني بقوالب وأشكال محسوسة. على سبيل المثال، ظهور العلم في شكل اللبن وكذلك تمثل جبريل في صورة دحية الكلبي وفي صورة الأعرابي و تمثله لمريم في صورة بشر. لذلك، تعتبر حضرة خيال الحضرة الأكثر الاوسع، لأنها تجمع عالم الغيب وعالم الشهادة. (ابن عربي، لاتا، ج٣: ٤٢)

هناك علاقة تربط عوالم ومراتب الوجود الإنساني بالعوالم الوجودية، بحيث تكون عوالم الوجود متعلقة بإدراك العوالم الإنسانية. أي أن وسيله ارتباط هذين النوعين من العوالم هي حواس الانسان. حيث يمتلك

الانسان حواساً ظاهرية وباطنية يتعامل معها السالك بشكل دائم. تعد الرؤيا نوعاً من انواع التمثّل في العرفان والتمثل من الناحية الوجودية يتعلق بعالم المثال ومن حيث علم المعرفة يتعلق بالحواس الظاهرية والباطنية للإنسان خاصة قوه الخيال و المتخيّله. يعنى أن التمثّل حتى يتحقق لا بد من تحقق العلاقة بين عالمين أحدهما في الانسان (عالم المثال الإنساني– عالم الخيال المتصل – قوه الخيال) والآخر في الوجود (عالم المثال أو الخيال المنفصل). يعتقد العرفاء ومن بينهم ابن عربي كالفلاسفة بأن قوه الخيال واحدة من القوى الباطنية للنفس ومخزن الصور التي تلتقطها الحواس. بعبارة أخرى، تحتاج قوه الخيال إلى الحواس وبدونها لن تكون قادرة على تخيّل الأصوات والألوان وأمثال ذلك. يرى ابن عربي، بأن قوه الخيال لا تحتاج الحواس فحسب، بل كذلك القوة الحافظه و المذكّرة لأن القوه الحافظه تحفظ الصور الخيالية الموجودة في الخيال والتي بدونها (اي الحافظة) تذهب وتتلاشى الصور الموجودة في الخيال. (ابن عربى، لاتا، ج١: ٢٨٨) لا بد من الإشارة إلى أنه أحياناً يطلق ابن عربى على القوه المتخيّله اسم الخيال المتصل والذي فيه تتمثل الملائكة والأرواح والمعاني المجردة في صور جسدية (ابن عربى، لاتا، ج٢:٣١١) تلعب قوة المتخيلة في الفلسفة والعرفان دوراً مهماً في تلقي الفيوضات الإلهية والأمور الغيبية وتمثل وتجسد المعاني والأمور الروحانية للإنسان من قبيل الرؤيا وغيرها، بحيث كلما ابتعد الإنسان عن الشواغل المادية والدنيوية، كلما بلغت قوة مخيلته حد الكمال في أن تعكس الحقائق والأمور الغيبية بشكل اكثر صحة ودقة، (ابن سينا، ١٤٢٥هـ: ٣٣؛ قيصرى، ١٣٨٧ش: ٨٩) وهذا يشير إلى أن قوة المتخيلة تختلف من إنسان إلى آخر ذلك أنها تتبع مرتبة ومقام الإنسان في التجرد من الدنيا وعلائقها.

تحليل آيات الرؤيا في القرآن الكريم من الناحية العرفانية

لم يقتصر القرآن الكريم في عرضه للرؤى على رؤى الأنبياء عليهم السلام، بل بين كذلك في آياته الشريفة الرؤى المتعلقة بأناس عاديين غير أنبياء والتي سنعرضها وفق الترتيب التالي المتعلق بمراتب الرائي من الأكمل إلى مادونه:

الرؤيا الأولى

قال الحق تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور(٤٣) وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اَللّٰهُ أَمْراً كانَ مَفْعُولاً وَ إِلَى اَللّٰهِ تُرْجَعُ اَلْأُمُورُ (٤٤)﴾ (الأنفال:٤٣–٤٤)

وهي الرؤيا الصادقة التي رآها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والمتحققة في الواقع ونفس الأمر بدون تأويل. في هذه الرؤيا أظهر الحق سبحانه وتعالى المشركين لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله في منامه وبشكل متكرر بعدد قليل لينقل ذلك لأصحابه؛ ولو كان الحق سبحانه قد أرى رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام المشركين بعدد كبير، لأصبح المسلمون ضعفاء متخاصمين ومتنازعين في الحرب، لكن الله سبحانه قد أنجاهم من الضعف برؤيا نبيه المرسل عليه الصلاة والسلام؛ لأنه يعلم ما في الصدور. عندما تقابل المشركون والمسلمون في معركة بدر، جعل الله تعالى العدو يبدو صغير العدد في عيون المسلمين، وكذلك أظهر المسلمين بعدد قليل في عيون المشركين، رغم أن المسلمين كانوا في خضم المعركة في عيون المشركين كثير والعكس في عيون المسلمين حتى يتحقق نصر الله تعالى وهزيمتهم.

كما مر معنا فإن المنام والرؤيا هو ما يتعلق بعالم الخيال الذي لا يتعامل إلا مع الصور الحسية المتنزلة من عالم الغيب، بحيث تظهر وتنطق في منام النائم ليتعلم من خلالها تفسير المنام وتأويل الأحاديث. وكما أسلفنا سابقاً فإن الرؤيا الصادقة من وجهة نظر ابن عربي هي مقدمة الوحي ولا فرق بينهما من حيث المنشأ إلا أن الرؤيا تحدث في النوم والوحي في اليقظة. لقد كانت الرؤيا الصادقة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله نازلة وفق مقامه ومرتبته، وبالتالي قد جاءت واقعة في نفس الأمر بدون تأويل، فقوة المتخيلة للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم تتدخل في الرؤيا ذلك أن نفسه الشريفة لديها ملكة الاتصال بعالم الغيب والمجردات العلوية. يشير ابن عربي إلى هذه المسألة في تفسيره عندما عرَّج على الفرق بين صاحب الرؤيا وصاحب الوحي ألا وهو أن صاحب الوحي يستطيع أن يغيب عن حواسه ومدركاتها وإيقاف وظائفها وتعطيل أفعالها، ليتصل بالمجرّدات العلوية وذلك لما تتمتع به نفسه من قوة وحصول ملكة الاتصال لها، في حين أن صاحب الرؤيا الصادقة يقع له ذلك بحكم الطبيعة ذلك أن النائم وبحكم النوم تتعطل حواسه عن العمل بشكل طبيعي. (ابن عربي، ١٤٢٢هـ، ج١: ٣٠٦) يشير ابن عربي إلى هذه المسألة بتطبيق هذه الآية على النفس الإنسانية وقواها والحرب القائمة فيها مشيراً إلى أن المخاطب هنا في هذه الآية الكريم القلب والذي هو محط ومستقبل للعلوم الآلهية:

"وإِذْ يُرِيكَهُمُ اللّهُ أيها القلب في منام تعطل الحواس الظاهرة و هدوّ القوى البدنية قليلي القدر،ضعاف الحال وَ لَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً في حال غلبة صفات النفس لَفَشِلْتُمْ وَ لَتَنازَعْتُمْ في أمر كسرها و قهرها لانجذاب كل منكم إلى جهة وَ لكِنَّ اللّهَ سَلَّمَ عن الفشل و التنازع بتأييده و عصمته وَ لا تَكُونُوا ككفرة القوى النفسانية الذين خَرَجُوا مِنْ ديار مقارّهم و محالهم و حدودهم بطرا و رئاء الناس و إظهارا للجلادة على الحواس" (نفس المصدر: ٢٥٦).

كذلك يشير ابن عربي إلى ما قد يظهر عن تلك النفس المتمتعة بملكة الاتصال بعالم الغيب من خوارق العادات وأنواع الكرامات والمعجزات لوصول المدد من عالم القدرة والذي لا ينكره إلا المحجوب بقسوة القلب والعقل الناقص ضارباً مثالاً على تلك النفس الشريفة النورانية بما ظهر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام من إعجاز عند قلعه باب خيبر قائلاً:

"قال علي عليه السلام عند قلعه باب خيبر:«و اللّه ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية، ولكن قلعته بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيّة». وإما بصدور ذلك عن تلك النفوس الملكوتية والمبادئ الجبروتية التي اتصل هو بها لإجابة دعوته بإطاعة الملكوت له بإذن اللّه تعالى وأمره و تقديره وحكمه وتسخيره" (نفس المصدر: ٣٠٧).

أما فيما يتعلق بالسر الذي فيكمن وراء تقليل الكثير وتكثير القليل في الآية الكريمة يوضح ابن عربي بأن هذه المسالة برمتها تتعلق بعين الخيال وليس عين الحس ذلك أن إدراك هكذا نوع من المسائل لا يكون ويتحقق إلا بعين الخيال ذلك أن اللّه سبحانه وتعالى إذا قلل الكثير وهو كثير في الواقع الخارجي ونفس الأمر أو كثر القليل وهو قليل في نفس الأمر، فما يراه الإنسان إلا بعين الخيال لا بعين الحس وهو نفس البصر في كلا الأمرين ذلك أن كل من عين الخيال وعين الحس تستخدم البصر، فإذا شوهدت مثل هكذا أمور فقد مثّل اللّه صورها متخيَّلة بحيث يُشَاهد الأشخاص رأي العين تماماً، كما يرى الإنسان المحسوسات بالعين والمعاني بعين البصيرة. إذاً عندما يقول الحق سبحانه وتعالى: (إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ" وكذلك قال:" يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ) وما كانوا مثليهم في الحس فلو لم يكن ذلك بعين الخيال لكان العدد ليس بحق ولكان الذي يراه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله غير صادق في حين أن ما رآه كان بعين الخيال فكانت الكثرة في القليل حقاً والقلة في الكثرة حقاً كذلك، لأنه حق في الخيال وليس بحق في الحس. (ابن عربی، بی‌تا، ج٣: ٥٠٧)

أما ملا صدرا في كتابه مفاتيح الغيب في باب حقيقة الجن، فقد يشير إلى نفس التفسير ألا وهو أن تقليل الكثير في وتكثير القليل هو مايرى بعين الخيال وليس بعين الحس:

وكثيرا ما يقع الاشتباه و الالتباس بين ما يراه الإنسان بعين الحس وما يراه بعين الخيال مع أنهما مختلفتا الأحكام فرب قليل في عين الحس هو كثير في عين الخيال و بالعكس كما قال تعالى (وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ وقال يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ). (ملا صدرا، ١٣٦٣ش: ٢٢٩)

علامة حسن زاده آملی في تفسيره سدرة المنتهى فی تفسير قرآن المصطفى يشير إلى أن كلمة (يريكهم) تدل على الانكشاف التام. من وجهة نظره ولتعليل مسألة العدد الواردة في الآية الكريمة، فإن النفوس القوية قادرة على الخلق والاختراع بحيث تصبح متصوراتها موجودات خارجية في الواقع ونفس الأمر حاضرة عندهم وعند أولئك الذين يتمتعون بنفس الدرجة من القوة والنورانية وهذا مايطلق عليه في الاصطلاح العرفاني مصطلح الهمة. (حسن زادة آملي، ١٣٨٨ش، ج٢:٢٧٠)

الرؤيا الثانية

وفيها البُشرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح مكة ودخول المسجد الحرام وهو ما تحقق بالفعل بدون تأويل، قال تعالى (لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً) (الفتح:٢٧)

لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا عندما أَرى الرسول الأعظم اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم في المنام قبل خروجه إلى الحديبية أنه هو وأصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا، فقصّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هذه الرؤيا على أصحابه فكانت سبباً لفرحهم وابتهاجهم واستبشارهم واعتقدوا بناء على رؤياه الشريفة بأنهم داخلوها في عامهم، ذلك أن رؤيا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله وسلّم حق، فلما تأخر وقوعها ونتيجة اعتراض البعض نزلت هذه الآية الكريمة متحدثة عن هذه البشرى الصادقة بالحق. (آلوسي،١٤١٥هـ،ج١٣: ٢٧٣) وهنا نرى كيف ربط الحق سبحانه وتعالى تحقق الرؤيا بهذه المشيئة الإلهية التي يجب أن يسلّم لها المؤمن نفسه بالكامل لكي تصبح حياته بحد ذاتها أنموذجاً مشرقاً عن «إِنْ شاءَ اللّهُ» وتكون حياته بكل أبعادها مثالاً لما يشاء الله عز وجل حتى يرى تحقق هذه المشيئة كما وعد الله سبحانه وتعالى: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ) وإذا كان الحق سبحانه وتعالى يربط صدق الرؤيا هنا بمشيئته (إِنْ شاءَ اللّهُ) فكيف بعباده الذين يتوجب عليه من خلال هذه الإشارة التزام الادب معه سبحانه واتباع أوامره والانتهاج بنهجه. تعتبر هذه الرؤيا أيضاً وفق ماجاء عن ابن عربي من الرؤيا الصادقة وجزءاً من الوحي والتي لا تحتاج إلى تعبير وتأويل والتي تحدث نتيجة الاتصال بعالم الغيب والمجردات العلوية. (ابن عربی، ١٤٢٢هـ، ج١: ٣٠٥)

الرؤيا الثالثة

وهي رؤيا إبراهيم عليه السلام والتي فيها همّ بذبح ابنه إسماعيل، قال الله سبحانه وتعالى (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) (الصافات:١٠٢)

لقد اعتقد سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء عليهم السلام بأن ما رآه في المنام لم يكن بحاجة إلى تأويل. ولهذا سارع عليه السلام إلى تنفيذ ماجاء في رؤياه مضحيّاً بابنه اسماعيل عليه السلام، وهذا تفسير قوله تعالى: (قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيا) (الصافات:١٠٥) في حين أن هذه الرؤيا جاءت على تأويل معاكس لما رآه سيدنا إبراهيم عليه السلام في منامه ولم يكن المقصود بالذبح في الحس، بل كان وقوع هذه الرؤيا على الذبح العظيم (وفديناه بذبحٍ عظيم). بحسب ماورد عن ابن عربي فإن إبراهيم عليه السلام كان في دائرة اختبار وابتلاء الله سبحانه وتعالى وكانت رؤياه بحاجة إلى تفسير في حين أنه يكن يعلم بذلك، وبالتالي لم يؤول رؤياه، بل عاجل إتمام أمر الحق عزوجل. يقول ابن عربي في هذا الصدد:

اعلم – أيّدنا اللّه و إيّاك – أنّ إبراهيم الخليل عليه السّلام قال لابنه:

إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ و المنام حضرة الخيال فلم يعبّرها، و كان كبشاً ظهر في صورة ابن إبراهيم في المنام، فصدّق إبراهيم الرؤيا، ففداه ربّه من وهم إبراهيم بالذبح العظيم الذي هو تعبير رؤياه عند اللّه و هو لا يشعر. (ابن عربى، ١٩٤٦م، ج١: ١٠٧–١٠٨)

إذاً (أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ) والمنام هو حضرة الخيال والذي ما عبَّره سيدنا إبراهيم عليه السلام. تعليقاً على هذه المسألة يبين القاشاني في شرحه لفصوص الحكم بأن سيدنا إبراهيم لم يعبر رؤياه لما تعود به من الأخذ عن عالم المثال (الخيال)، فعندما رقاه اللّه سبحانه وتعالى عن عالم المثال، أخذ خياله المعنى من قلبه المجرد، فتلقفت المعنى قوة المتخيلة وتصرفت في تصويره، مصورة هذا المعنى المجرد أي معنى الكبش بصورة ابن إبراهيم عليه السلام، فلم يعبرها وصدّقها، في حين لم يكن ذلك عند الحق سبحانه وتعالى إلا الذبح العظيم، وبالتالي فلم يعط إبراهيم عليه السلام حضرة الخيال ما ينبغي من التعبير. (القاشاني، ١٣٧٠ش: ١٠٣)

كذلك يؤكد مؤيد الدين الجندي في شرحه لفصوص الحكم ابن عربي على نفس المسألة مبيناً طبيعة حضرة المثال (الخيال) بأنها الحضرة التي تتجسّد فيها المجردات من المعاني والحقائق والأرواح والأنفس وحقائق الصور والأشكال، وبناء عليه هناك فرق بين صدّق الرؤيا وصدّق في الرؤيا، بعبارة أخرى، كل من رأى صورة وما شاكلها ولم يعبّرها أو يؤولها إلى ما يؤول إليه أمر تلك الصورة التي شاهدها في الرؤيا، فقد صدّق الرؤيا، أما من عبّرها فيكون قد صدق في الرؤيا وأعطى الحضرة حقّها من التعبير. وبتطبيق هذا على سيدنا إبراهيم عليه السلام يمكن القول بأنه لو عبّر عليه السلام رؤياه لكان صدق أنّ الذبح هو الكبش ولم يكذب الذبح الواقع بابنه، ولكن كان كبشاً ظهر في صورة ابنه، فصدّقها، فأراد إيقاع الذبح بابنه فما وقع ذلك. (الجندي، ١٣٨١ش: ٣٨١)

الجامي في شرحه لفصوص الحكم يؤكد على ما أورده ابن عربي في كتابه فصوص الحكم بقوله بأن المنام هو حضرة الخيال المقيد والذي من شأنه أن يُعبر من الصور الممثلة فيه إلى مقصودها من المعاني وهذا الأمر الذي لم يفعله سيدنا إبراهيم عليه السلام، أي لم يعبر من الصورة المتخيلة إلى معناها الحقيقي، والسبب وراء ذلك يكمن بأن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان قد تعوّد الأخذ عن عالم المثال المطلق (عالم الخيال المنفصل) بالشكل الذي يكون به ما أخذه مطابقاً للواقع من دون أن يعبر ما يأخذه، وهذا الأمر الذي من شأنه أن تتطابق فيه الصور المرئية الخيالية مع الصور الظاهرة في الحس بدون أي اختلاف، وبالتالي لا يكون هناك أي داعي للتعبير. وبناء عليه، عندما رأى عليه السلام في منامه أنه يذبح ابنه، اعتقد بأنه مأمور من الحق سبحانه وتعالى وبادر إلى تنفيذ الأمر الإلهي بدون أن يؤول ويعبر منامه، في حين أن المذبوح كان كبش قد ظهر في صورة ابن إبراهيم في المنام. لا بد هنا من الإشارة إلى أن رؤية ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام بصورة الكبش لم تكن محض صدفة وإنما توجد مناسبة بين الصورة المتخيلة في حضرة الخيال المتصل وبين المعنى الحقيقي لهذه الصورة والمناسبة هنا تتجلى بالاستسلام والانقياد للحق سبحانه وتعالى فكان مراد الحق تعالى بذلك الكبش لا ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام، ففداه الحق تعالى بالذبح العظيم. وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل حول سبب الفداء طالما أن تعبير الرؤيا عند الله سبحانه وتعالى هو الكبش وبالتالي مامن فداء هنا! للإجابة عن ذلك وذكر الفداء الوارد في الآية الشريفة: (وفديناه بذبحٍ عظيم)، إننا يعود إلى ظن سيدنا إبراهيم عليه السلام وبالتالي لم يكن ذلك فداء بالذبح العظيم في الحقيقة، بل مجرد تعبير الرؤيا في الواقع ونفس الامر ذلك أن إبراهيم عليه السلام لم يشعر بذلك التعبير لحكمة اقتضاها الحق سبحانه وتعالى وهو تحقق الفناء في اللّه بالكلية المقتضي مشاهدة الأمور في أعلى مراتب. (الجامي، ١٤٢٥هـ: ١٨٠) إذاً ما رآه سيدنا إبراهيم عليه السلام كان اختباراً إلهياً ينطوي على العلم أي كون الرؤيا سبباً إلهياً لعلمه عليه السلام، من حيث أن اللّه تعالى أراد أن يطلعه على علم التعبير فأراه الذبح في صورة ابنه، فظهر بذلك كمال الإيمان والتسليم التام لإبراهيم وولده وعلم إبراهيم بذلك حق موطن الرؤيا من التعبير، فصدق الرؤيا وكان التصديق سببا لظهور كمال وعلم جديد وهو علم التعبير الذي فيه الذبح والتقرب به هو صورة إسلامه الحقيقي بالفناء في اللّه، فإنه من جملة علم التعبير، وكان حاله في التصديق. (القاشاني، ١٣٧٠ش: ١٠٤)

الرؤيا الرابعة

وهي رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) (يوسف:٤) وهذا النوع يعد من الرؤى الصالحة الصادقة التي تحتاج إلى فك

رموزها وتفسيرها وتأويلها حتى يتم العبور إلى أصل حقيقتها. تمتعت هذه الرؤيا بالرمزية المتمثلة بأبويه عليه السلام وهما على صورة الشمس والقمر ووأخوته الكواكب الأحد عشر، ليخروا للنبي يوسف عليه السلام جميعاً في سجدة تُفسر بعلو المقام ورفعة المنزلة. هذه السجدة التي يفسرها ابن عربي على أنها على شاكلة السجود لآدم وللكعبة و لصخرة بيت المقدس من حيث أنها ظاهراً هي لغير الله تعالى من المخلوقات، إلا أن ابن عربي هنا يعتقد بأنه طالما أن هذا السجود بأمر اللّه، فإن ذلك يعتبرعبادة يتقرب بها إليه عزوجل وبالتالي يظهر هنا التمييز بين الساجدين لغير اللّه عن غير أمر اللّه وبين من سجد للمخلوق عن أمر الله يوم القيامة. هذا الأمر ذاته ما حصل للنبي يوسف عليه السلام والذي أطلق عليه ابن عربي في كتابه الفتوحات المكية بالمخلوق الخاص حيث لم يحصل له السجود حساً فقط بل حساً و خيالاً في رؤياه الذي رأى الشمس والقمر و أحد عشر كوكبا ساجدين له فكان ذلك أباه وخالته وإخوته فوقع ذلك حقاً في الحس كما رأى في منامه. (ابن عربی، لاتا، ج٣: ٣٧٣) لم تكن رؤية سيدنا يوسف عليه السلام لأهله بهذه الصور عن مصادفة وإنما كانت هناك مناسبة توجب تجسّدهم جميعاً في هذه الصورة التي رآهم عليها في رؤياه، ذلك أن الشمس والقمر أصلان كالأبوين بالنسبة إلى أنوار الكواكب التي لا ظهور لها في حضور الشمس والقمر لمن يراها، تماماً كالنجوم التي يختفي نورها إما بوجود من كان أشد نوراً منها أو بسبب البعد والنوء. إن هذه المناسبة والصور التي رآها يوسف عليه السلام كانت من جهة الرائي أي من جهة يوسف عليه السلام، ولم تكن من جهة المرئيّ أي من جهة أهله وبالتالي فإن يوسف عليه السلام كان على علم بما رآه ولم يكن لديهم علم بما رآه يوسف عليه السلام فكان ذلك الإدراك مخصوص خزانة خياله، وانتقل إلى يعقوب عليه السّلام عندما قصّ رؤياه عليه، عندها قال والده عليه السلام: (يا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْياكَ عَلى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً) مبرئاً أبناءه من ذلك الكيد وملحقه بالشيطان. (ابن عربی، ١٩٤٦م، ج ١: ١٠٠-١٠١) ليقول يوسف عليه السلام لأبيه يعقوب عليه السلام في نهاية القصة القرآنية: (هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَها رَبِّي حَقّاً)، أي حقاً في الحس وقد كانت من قبل حقاً في الخيال (موطن الرؤيا) أي أن حقيقة الصور المتخيّلة ظهرت في الحسّ على صورها الأصلية الحقيقية، وهنا ومن وجهة نظر ابن عربي يبرز الفرق الواضح بين مقامي محمد ويوسف عليهما السلام من حيث الإدراك، فالنبي عليه السّلام قال: «الناس نيام إذا ماتوا انتبهوا» أما يوسف عليه السلام قال: «قد جعلها ربّي حقّا» وكان ذلك بمنزلة من رأى في نومه أنّه استيقظ من النوم من رؤيا رآها ثم عبّرها، ولم يعلم أنّه في النوم نفسه بحسب ماورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ذلك أن الخيال المتصل أو المقيد لا يظهر فيه إلاّ الصور المحسوسة المرئيّة لتقييده بقوة المتخيّلة، في حين أن عالم المثال المطلق (الخيال المنفصل) ماهو إلا محلّ تجسّد الأرواح و الأنوار و المعاني و الصور،

وهو أوسع العوالم بحسب ماذكرنا عن ابن عربي. (الجندي، ١٣٨١ش: ٤٢٣) بعبارة أخرى فإن النبي عليه السلام قد جعل الصورة الحسية كالصورة الخيالية من حيث أنها مجلى للحق والمعاني الغيبية، في حين أن يوسف عليه السلام قد جعل الصور الحسية حقاً ثابتاً أما الصور الخيالية فهي على غير ذلك، وبالتالي كان الحس عنده مجلى للحق والمعاني الغيبية دون الخيال. وبالتالي يبرزهنا تفاوت ورفعة وشرف علم سيد الأنبياء صلى اللّه عليه وعلى آله المطلع والمشرف على هذه الأسرار بشكل كامل. (حقي البروسوي، لاتا، ج٤:٣٢١)

تجدر الإشارة إلى أن تعبير الرؤيا يختلف عن تأويل الرؤيا، حيث يعبر معبر الرؤيا من الصورة إلى المعنى الذي فسر به المنام، أي أن التعبير يأتي من العبور وهذا العبور يكون من الرموز الظاهرة في المنام إلى معناها (ابن عربي، ١٩٤٦م: ٨٦). في حين أن تأويل الرؤيا يعني إعادة الصور المثالية للرؤيا إلى صورتها الأصلية الحقيقية، تماماً كما يعيد العارف الصور المحسوسة للعالم في اليقظة إلى صورتها الأصلية، بحيث يرى كل منها على أنها مظهراً لحقيقة واحدة تقف وراءها. يؤكد ابن عربي في فص حكمة نورية في كلمة يوسفية على هذه المسألة بقوله: "ثم إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه أخذ عن المحسوسات المعتادة فسجي وغاب عن الحاضرين عنده: فإذا سري عنه رد. فما أدركه إلا في حضرة الخيال، إلا أنه لا يسمى نائماً. وكذلك إذا تمثل له الملك رجلاً فذلك من حضرة الخيال، فإنه ليس برجل وإنما هو ملك، فدخل في صورة إنسان. فعبره الناظر العارف حتى وصل إلى صورته الحقيقية، فقال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم. وقد قال لهم ردوا علي الرجل فسماه بالرجل من أجل الصورة التي ظهر لهم فيها. ثم قال هذا جبريل فاعتبر الصورة التي مآل هذا الرجل المتخيل إليها. فهو صادق في المقالتين: صدق "للعين في العين الحسية، وصدق في أن هذا جبريل، فإنه جبريل بلا شك". (ابن عربي، ١٩٤٦م، ج ١: ١٠٠) ونتيجة لذلك، فإن التأويل أعم من التعبير، بمعنى أن كل تاويل هو تعبير والعكس ليس بصحيح. أما بخصوص تأويل الأحاديث التي علمها الله تعالى جزءاً منها ليوسف عليه السلام، فإن هذا النوع من المعرفة ما هو إلا جزء من هذه المعرفة اللدنية الشهودية التي جعلت يوسف عليهم السلام قادراً متمكناً من المعرفة وتأويل لطائف المنامات والذي يعتبر جزءاً من تأويل الأحاديث. (روزبهان بقلي، ٢٠٠٨م، ج٢:١٥٧)

الرؤيا الخامسة والسادسة

وهما المنامان اللذان رآهما صاحبا يوسف عليه السلام في السجن حين دخلا مع يوسف عليه السلام وهو ما ورد ذكره في الآية الكريمة: (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي

أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (يوسف: ٣٦) حيث جاء تفسير الرؤيا على لسان النبي يوسف عليه السلام بقوله: «يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ). (يوسف:٤١)

بحسب ماورد عن ابن عربي فإن الرجلين كانا قد كذبا بشأن ما صوراه في الرؤيا، فكان ذلك مما حدّثا به نفسيهما، وبالتالي تخيلاه من غير رؤيا، فلما قصّاها على النبي يوسف عليه السلام حصل في خياله صورة من ذلك لم يكن يوسف حدث بذلك نفسه، فصارت حقاً في حق يوسف عليه السلام وكأنه هو من رأى تلك الرؤيا لذلك الرجل، فلما عبّر لهما رؤياهما أجاباه بأنهما لم يريا تلك الرؤى بل كان ذلك مجرد اختبار له، فقال يوسف عليه السلام: (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أي أن الأمر قد خرج في الحسّ كما عبّر وسيكون تحققه أمر حتمي لا مفر منه. يكمن تفسير ذلك بحسب رأي ابن عربي في أنه لا يعول على الصورة المرئية المتخيلة مما يحدث المرء به نفسه في حال يقظته إلا في حال واحد إن عُبّرت، عندها يكون لها حكم ناجم عن قوة التعبير وليس ناشيء عنها، بعبارة أخرى فإن الشخص الذي يعبر مثل هكذا صورة لن يعبرها حتى يصورها في خياله بعد أن انتقلت إليه من المتكلم وبالتالي فإن تعبيرها لن يكون إلا بعد انتقالها عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس إلى خيال المعبر لها وما هي عنده بحديث نفس، عندها سيحكم هذا المعبر على صورة محققة قد ارتسمت وتمثلت في ذاته وبالتالي ما سيحصل هو حدوث حكم حصول تلك الصورة في نفس العابر وهذا ما حصل تماماً مع صاحبي السجن عندما نقلا حديث نفسيهما إلى النبي يوسف عليه السلام. (ابن عربي، بي‌تا، ج٢:٣٧٧)

الرؤيا السابعة

وهي رؤيا ملك مصر بالسبع بقرات السمان والسبع العجاف والتي عبّرها سيدنا يوسف عليه السلام بسنوات الرخاء وسنوات القحط، كما جاء في القرآن الكريم: (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ). (يوسف:٤٣)

كان سيدنا يوسف عليه السلام ممن علمهم الحق سبحانه وتعالى علم التعبير وتأويل الأحاديث كما أشار إلى ذلك في أواخر سورة يوسف بقوله: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)، فكان من أئمة علم التعبير بصور التمثيل والخيال، ومن خلال هذا العلم الإلهي علم بأن صور البقر هي السنوات، وأن سمنها يعني الخصب، وأن عجافها يكون قحطها، وكل ذلك إنما يكون من تجسد المعاني في حضرة الخيال.

ابن عربي يؤكد على ذلك في كتابه الفتوحات المكية بأن الله سبحانه وتعالى قد علم يوسف عليه السلام علم التعبير والتأويل المتعلق بتجسد المعاني بقوله:

فأحضر اللّه بين يديه الأرض التي خلقها اللّه من بقية طينة آدم ع و أحضر له سوق الجنة وأحضر له أجساد الأرواح النورية و النارية و المعاني العلوية و عرفه بموازينها و مقاديرها و نسبها، فأراه السنين في صور البقر وأراه خصبها في سمنها وأراه جدبها في عجافها وأراه العلم في صورة اللبن وأراه الثبات في الدين في صورة القيد وما زال يعلمه تجسد المعاني والنسب في صورة الحس والمحسوس و عرفه معنى التأويل في ذلك كله. (ابن عربي، لاتا، ج٢: ٢٧٥)

آثار الرؤيا على حياة الإنسان في القرآن الكريم

مما تقدم فيما يتعلق بالتحليل العرفاني لآيات الرؤيا في القرآن الكريم نرى كيفية ربط ابن عربي للرؤيا بعالم الخيال المنفصل المطلق والمتصل المقيد مع اقتران مسألة الرؤيا بمقام الإنسان وما يدركه من حضرة الخيال المنفصل، والذي هو حضرة مستقلة تتجسد فيها المعاني والأرواح على هيئة صور. وهذا الأمر بدا واضحاً بشكل كبير في تحليل ابن عربي لكل آيات الرؤيا بدءاً من رؤيا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله المتعلقة بتقليل عدد المشركين في أعين المسلمين والعكس بالنسبة للمسلمين في أعين المشركين وربط هذه المسألة بعالم الخيال إلى كافة الرؤى من ذبح ابن سيدنا إبراهيم إلى الرؤى الواردة في سورة سيدنا يوسف عليه السلام والتي تجسدت فيها جميعها المعاني والأرواح في حضرة الخيال المنفصل. واللافت للنظر في الرؤى القرآنية ارتباطها بمقام من رآها، بعبارة أخرى، نرى في القرآن الكريم كيف كانت رؤى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والذي هو خاتم الانبياء وأعلاهم مرتبة رؤى صادقة لا تحتاج إلى تأويل ووقعت كماهي في الواقع ونفس الأمر دون تعبير وتأويل. في حين أن بقية رؤى الأنبياء عليهم السلام الواردة في القرآن الكريم من سيدنا إبراهيم عليه السلام والتي كانت رؤياه على عكس مارآه في الواقع ونفس الامر، إلى سيدنا يوسف عليه السلام والتي رؤياه كانت رمزية بشكل كامل واحتاجت إلى تأويل وتعبير للورود إلى أصل حقيقتها.

لذلك يمكن القول أن الأنبياء في الرؤيا على مقامات ثلاثة:

١. مقام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والذي من خلاله مايراه في المنام يتحقق عينه في الحس.

٢. مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي من خلاله ما رآه في المنام، كان على عكسه في الحس. أي أنه رأى في المنام أنه يذبح ابنه في حين أن معناه في الحس هو نجاة ابنه من الذبح وفدائه.

٣. مقام سيدنا يوسف عليه السلام ورؤياه التي كانت بحاجة إلى تأويل وتعبير للوصول إلى حقيقتها في الحس.

وقد ذكرنا سابقاً ما أشار إليه ابن عربي في كتابه فصوص الحكم إلى الفرق بين المقام المحمدي والمقام اليوسفي من ناحية الإدراك وعلاقته بعالم الخيال.

لقد احتلت الرؤيا مكانة مهمة في القرآن الكريم وعند الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لما لها من آثار كبيرة على حياة الآنسان سواء في عالم المادة أو عالم الغيب، وهذا الأمر يبدو جلياً بشكل كبير في القرآن الكريم والذي يتمحور حول مسألة ربط الإنسان بعالم الغيب ومعرفته لأمور مستقبلية محورية ومفصلية من خلال تأويل وتعبير رموزها وإشاراتها أو بدون تأويل. وما يؤكد ذلك ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه كان إذا أصبح وجلس بين أصحابه يسألهم من رأى فيهم رؤيا وذلك ليرى ما أجراه الحق تعالى في العالم أو ما سيجريه في المستقبل وذلك من خلال ما قد يوحى به إلى صاحب الرؤيا في منامه صراحةً أو من خلال صورة يدركها الرائي دون معناها، فيعبرها له رسول اللّه صلى الله عليه وآله ليوصله إلى مراد اللّه تعالى بها. وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مكانة الرؤيا وأهميتها من ناحية آثارها وإيلاء الأهمية الكبرى لهذه المسألة من قبل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسؤاله لأصحابه عن رؤياهم ما هو إلا من باب اعتنائه عليه الصلاة والسلام بهذه المرتبة لتبيه أصحاب العقول من عباد الله سبحانه وتعالى إلى هذه المسألة المهمة.

يمكن إجمال الآثار المهمة للرؤيا بحسب ماجاء في الوحي الإلهي القرآن الكريم على النحو التالي:

١. الفوائد الجمة التي يمكن أن يقطفها الإنسان من الرؤى الصالحة التي يراها، من حيث أن الحق تعالى قد جعلها طريقاً للمعرفة التي يُكشف بها عن وجه الحقائق المتنزلة من عالم الغيب، الأمر الذي لا يحتاج فيه الإنسان إلى استحضار الأدلة والبراهين على مايرى، ذلك أن الرؤيا بحد ذاتها هي إحدى الآيات المتحققة في صقع النفس الإنسانية والمدركة عن طريق حواسها وبخاصة قوة الخيال والمتخيلة، وهذا الأمر بدى جلياً وواضحاً في كل آيات الرؤيا القرآنية، سواء مارآه الرسول الأعظم في رؤياه عن دخولهم المسجد الحرام والتي قصها على أصحابه وكانت سبباً لفرحهم وابتهاجهم، أو ما رآه في منامه عن موقعة بدر والتي بدونها لكان المسلمون ضعفاء ومتنازعين في الحرب، لكن الله سبحانه برؤيا نبيه المرسل عليه الصلاة والسلام قد أنقذهم من ضعف الحال لأنه يعلم ماتكن صدورهم. وبالتالي كانت رؤى الرسول الأكرم صل الله عليه وآله من جانب كشف لحقائق مستقبلية ومن جانب آخر بشرى وسبباً للفرح وشد عضد للمسلمين وإنقاذهم من الضعف والتخاصم. أما بالنسبة للفوائد الجمة الأخرى للرؤيا والتي ما انعكست فحسب على صاحبها بل على أمة بأكملها، هي رؤيا الملك في سورة سيدنا يوسف عليه السلام. فعندما عبرها سيدنا يوسف عليه السلام لم

تعطي خيرها للملك فقط بل انعكس ذلك التفسير على أمة بأكملها من خلال إظهار تنظيم علمي إداري دقيق للموارد المائية والغذائية على مدى سبع سنوات قادمة، الأمر الذي حمى أمة يوسف عليه السلام من خطر الجوع والقحط، وهنا نرى أهمية الرؤيا من جانب التنبؤ بالأحداث المستقبلية وكذلك مقام ومكانة معبر الرؤيا من جانب آخر والذي بدون تعبيره للرؤيا الناجم عن علم لدني إلهي لما وقى شعبه من أخطر الأزمات الاقتصادية، لنرى ومن خلال سير سورة سيدنا يوسف عليه السلام مدى مهارة إدارة الازمات على شتى الصعد وبكافة النواحي التي تميز بها سيدنا يوسف عليه السلام، وذلك بناء على تماشيه مع رؤيا الملك وتفسيره لها، وهذا ما جاء في القرآن الكريم بقول سيدنا يوسف عليه السلام للملك: (قالَ اِجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ اَلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ). فكان فريد عصره في إدارة خزائن الأرض سواء كانت هذه المخازن من الطعام والحبوب أو ماتحتويه خزائن الأرض من الثروات المائية من الخزّانات طبيعية جوفية كانت أو صناعية أو حتى خزائن الأرض من الموارد المالية أو العلمية من حيث البيانات والمعلومات الدقيقة المتعلقة بكل مساحة مزروعة وما تحتاجه من الماء والبذور والتكلفة المالية لتحقيق الاكتفاء الذاتي الزراعي وتقليل نسبة الهدر إلى أقصى الحدود، وذلك من خلال تطبيق نظام إلهي من قبل حامل الرسالة الإلهية سيدنا يوسف عليه السلام. هذا الإدارة المنقطعة النظير والتي نفذها سيدنا يوسف عليه السلام لم تكن لتجري إلا على يد رسولٍ لله وما كان من رؤيا الملك وتفسيره لها بهدي ووحي إلهي. فكان يوسف الصديق بما امتلك من تمكين إلهي ومواصفات إلهية ألقاها عليه الحق تعالى من الحفظ والعلم (إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) قائداً فذاً حاكماً بشرع اللّه تعالى في أرضه متمكناً من إجراء ذاك الإصلاح الاقتصادي على أوسع نطاق ليمتلك بذلك قلوب أهل الأرض. وهنا لا بد من نرى بأن كل ما عاشته مصر وما تجلى من القيادة اليوسفية من الخيرات الفياضة نتيجة علو مقام يوسف عليه السلام النبوي والرسالي إنما كان من آثار رؤيته الصادقة وهو طفل صغير والذي صوره الحق تعالى في كتابه الحكيم: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ). وبالتالي يمكن القول بأن الرؤى القرآنية بشكل عام كانت بشارة للبعض كبشارتي النصر الإلهي ودخول المسجد الحرام في رؤى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وطريقاً لتلقي التكاليف الإلهية التي بها تنظم أمور العباد فيما يتعلق بالمعاش كما حدث في تفسير رؤيا الملك وتفسير رؤيا ساقيه أو حتى المعاد كما حدث مع أحد صاحبي وصلبه ومفارقته للحياة ومعاده إلى بارئه، واختبار وابتلاء وتعليم إلهي كما حدث في رؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٢. تعبير الرؤيا وتأويل الأحاديث وما كان له من أثر على سيدنا يوسف عليه السلام على صعيد شخصي أو على كل من عبّر لهم رؤاهم من جهة أخرى. يتجلى الأثر الذي تركه تعبير الرؤيا على حياة سيدنا يوسف

عليه السلام بإثبات صدقه ونبوته وعلو مقامه. أما من أمثلة تأثير قوة تعبيره على الآخرين، يظهر من خلال تعبيره لرؤيا صاحبي السجن الذي من خلاله حدد مصير كل منهما والذي يعتبر بحد ذاته معجزة أخرى تتعلق بمسألة الرؤيا التي تميز بها سيدنا يوسف عليه السلام، ذلك أن صاحبي السجن كانا يكذبان والصور المتخيلة التي تخيلاها لم تكن هي سبب تحقق ما آلت إليها الأمور، بل ما تميز به سيدنا يوسف عليه السلام من قوة التعبير الأمر الذي جعل الصور التي تخيلاها حقيقة وواقعة في نفس الأمر. إذاً ما تميز به سيدنا يوسف عليه السلام من الرؤى الصادقة من جانب وتعبيره للرؤى من جانب آخر ما كان إلا دليلاً على صدق رسالته وعلى صدق ما أخبر به من وحي وإلهام وتعليم إلهي.

٣. تأثير وجود هذا المبحث القرآني للرؤى الصادقة بأنواعها في القرآن الكريم، إنما يشير إلى أهمية الرؤى من أنها طريق إلى اثبات عالم الغيب ووجود عالم كبير واسع يشمل كل ما في هذا العالم ولكن بوجود أصفى وأعم ألا وهو عالم المثال أو الخيال. وبحسب التحليل الذي أجريناه للرؤى القرآنية نرى كيف كانت الرؤى الصادقة طريقاً لاستكشاف منافع الأشياء ومضارها وصالح الاعمال ومفاسدها وخير الامور وشرها وهذا ما يحتاج الإنسان معرفته ليسير في هذه الحياة على طريق القرب والوصل الإلهي الذي من خلاله تكشف الأسرار وتتنزل المعاني في صور.

النتائج

يرتبط منشأ الرؤيا في القرآن الكريم عند ابن عربي بعالم الخيال المنفصل المطلق من جهة وعالم الخيال المتصل المقيد من جهة أخرى، مع اقتران هذه المسالة عنده بمقام الإنسان وما يدركه من حضرة الخيال المنفصل، والذي هو حضرة مستقلة تتجسد فيها المعاني والأرواح على هيئة صور.

تتراوح آثار الرؤى القرآنية بشكل عام بين بشارة للبعض كبشارتي النصر الإلهي ودخول المسجد الحرام في رؤى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وبين أن تكون طريقاً لتلقي التكاليف الإلهية التي بها تنظم أمور العباد فيما يتعلق بالمعاش كما حدث في تفسير رؤيا الملك وتفسير رؤيا ساقيه أو حتى المعاد والإنذار كما حدث مع أحد صاحبي السجن وصلبه ومفارقته للحياة ومعاده إلى بارئه، واختبار وابتلاء وتعليم إلهي كما حدث في رؤيا سيدنا إبراهيم عليه السلام.

يُظهر القرآن الكريم وعبر الرؤى المطروحة، تفاوت مقامات الانبياء عليهم السلام، فما كان قد رآه كل منهم من رؤى إنما كان يرتبط بدرجته ومقامه عند الحق سبحانه وتعالى.

تجلت آثار الرؤيا في القرآن الكريم بكشف الحقائق المستقبلية والبشرى كشد عضد للمسلمين وإنقاذهم من الضعف والتخاصم.

لا تقتصر أهمية الرؤيا في القرآن الكريم على جانب التنبؤ بالأحداث المستقبلية، بل نشهد إلقاء الضوء القرآني على مقام ومكانة معبر الرؤيا والذي لعب دوراً كبيراً من خلال قوة تعبيره في وقوع الرؤيا بحق.

من آثار وجود هذا المبحث القرآني للرؤى الصادقة بأنواعها في القرآن الكريم، الإشارة إلى أهمية الرؤى على أنها طريق إلى إثبات عالم الغيب ووجود عالم كبير واسع يشمل كل ما في هذا العالم ولكن بوجود أصفى وأعم ألا وهو عالم المثال أو الخيال.

تعد الرؤى الصادقة القرآنية وسيلة لاستكشاف خير وصالح الأعمال والأشياء وشرها، وهذا ما يحتاج الإنسان معرفته ليسير في هذه الحياة على طريق القرب والوصل الإلهي الذي من خلاله تُكشف الأسرار وتتنزل المعاني في صور.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- آلوسی، محمود بن عبدالله (١٤١٥ه). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، ج٦، ج١٣، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلميه، منشورات علي بيضون.
- ابن سينا، حسين بن عبدالله (١٤٢٥ه). *جامع البدائع*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عربی، محيی الدين (لا تا). *الفتوحات المكية*، ج١،ج٢،ج٣، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء التراث العربی.
- ابن عربی، محيی الدين (١٤٢٢ه). *تفسير ابن عربي*، ج١،ج٢، الطبعة الاولى، بيروت: دار إحياء التراث العربی.
- ابن عربی، محيی الدين (١٩٤٦م). *فصوص الحكم*، تعليق أبي العلا عفيفی، ج١، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن فارس، أحمد بن فارس (١٤٠٤ه). *معجم مقاييس اللغة*،ج٢،ج٤، الطبعة الأولى، قم: مكتب الإعلام الإسلامی.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (١٤١٤ه). *معجم لسان العرب*، ج١٤، الطبعة الثالثة، بيروت: دار صادر.
- بقلی، روزبهان بن أبی نصر (٢٠٠٨م). *عرائس البيان فی حقائق القرآن*، ج٢، بيروت: دار الكتب العلميه، منشورات علی بيضون.
- جامي، عبد الرحمن بن أحمد (١٤٢٥ه). *شرح فصوص الحكم*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية.
- جندی، مؤيد الدين (١٣٨١ش). *شرح فصوص الحكم (الجندی)*، الطبعة الثانية، قم: بوستان كتاب.
- حسن زاده آملی، حسن (١٣٨٨ش). *المنتهی فی تفسير قرآن المصطفی*، ج٢، قم: منشورات الف لام ميم.
- حقی، إسماعيل بن مصطفی (لا تا). *تفسير روح البيان*، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفكر.
- راغب اصفهاني، حسين بن محمد (١٤١٢ه). *مفردات ألفاظ القرآن*، الطبعة الأولى، بيروت: منشورات دار الشامية.
- صدر الدين الشيرازي، محمد بن إبراهيم (١٣٦٣ش). *مفاتيح الغيب*، الطبعة الأولى، طهران: موسسة موسسه مطالعات و تحقيقات فرهنگی، انجمن اسلامی حكمت و فلسفه ايران.

– عبدالرزاق القاشاني، عبدالرزاق بن جلال الدين (١٣٧٠ش). *شرح الشيخ عبدالرزاق القاشاني على فصوص الحكم للشيخ الأكبر محي الدين بن العربي*، الطبعة الرابعة، قم: بيدار.

– قرشي بنابي، على أكبر (١٣٧١ش). *قاموس قرآن*، ج٣، الطبعة السادسة، طهران، دار الكتب الإسلامية.

– قيصري، داوود بن محمود (١٣٨٧ش). *شرح مقدمه قيصرى بر فصوص الحكم*، ترجمه حسين سيد موسوى، طهران: حكمت.

– قيصري، داوود بن محمود (١٣٧٥ش). شرح *فصوص الحكم*، تحقيق جلال الدين اشتيانى، طهران، الشركة العلمية والثقافية للنشر.

– مجلسي، محمدباقر (١٤٠٣ه). *بحار الأنوار*، ج٥٨، بيروت: مؤسسة أعلمى، ١٤٠٣ق.

Harmony in the text of the poem “Dejlah Alkhayr” by Mohammad Mahdi Al-Jawahiri according to DepoGrandian and Dician standards

Kinana Fayez Mustafa[1], Reem Abdel Fattah Joria[2]

1. professor of Philosophy and Quranic Studies at Al-Mustafa International University, Iran
kinanamustafa@gmail.com
2. Master’s student in Qur’anic Sciences at Al-Mustafa International University, Iran

Abstract

The Holy Qur’an has always been a rich source of wisdom and boundless divine knowledge that Muslim philosophers, scholars, and mystics have extensively explored and elucidated through thorough research and analysis. Among the important Qur’anic topics that Muslim scholars, led by Ibn Arabi, dealt with, is the true dream, so that Surah Yusuf (as) topped the Holy Qur’an with the subject and interpretation of it. Dream occupies an important place in the Qur’an, Sunnah, philosophy, and mysticism, and it is considered part of the prophecy. True vision is the beginning of revelation. Therefore, in this investigation and by following a descriptive analytical approach applied on the dream verses and depending on mystical point of view, we sought to know its origin, which has two dimensions, one existential and the other cognitive, as well as to show its effects in human life. Based on this study, we concluded that the origin of the dream in the Holy Qur’an is mystically related to the world of contiguous and discontigiuous worlds of imagination, with being connected to the station of man and what he perceives from the discontigiuous world of imagination, which is an independent presence in which the truths and spirits are embodied in corporeous forms. In addition to revealing the importance of the true dream in terms of predicting future events, and the station of the vision interpreter.

Keywords :dream, dream origin, the effects of dream, the Noble Qur’an, islamic mysticism.